الرئيس الفرنسي يزور المغرب

مصالح ميتران المغربية أقوى من مبادئه "الاشتراكية"

« هل اصبح ميتران اكثر تأييدا للنظام المغربي من الحزب الاشتراكي الفرنسي ؟ »

هذا السؤال طرحته صحيفة « الموند » الفرنسية عشية الزيارة التي قام بها الرئيس الفرنسي ، زعيم الحزب الاشتراكي ، الى المغرب نهاية الشهر الماضي . والسؤال في صيغته هذه ليس دقيقا في الواقع . فالاشتراكيون الفرنسيون لم يعرف عنهم تأييدهم للنظام المغربي ، وخصوصاً عندما كانوا في المعارضة . ويوم فاز حزب ميتران بالسلطة في فرنسا كان النظام المغربي من اشد المنزعجين لهذا الفوز لما بين الطرفين من عداوة قديمة !!

الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي تربطه علاقات وثيقة بحزب المعارضة الرئيسي في المغرب ، الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ، كان من المنددين الدائمين بسياسات الملك الحسن الثاني الداخلية ، وبخاصة معاداته للديمقراطية وانتهاكه للحريات العامة وحقوق الانسان . وكان الاشتركيون الفرنسيون يؤيدون موقف جبهة البوليساريو والجزائر من مشكلة الصحراء الغربية ، اضافة الى مؤاخذتهم على النظام المغربي ازدياد تبعيته للولايات المتحدة .

عداوات اصبحت في طي التاريخ

ومن الناحية الرسمية فان الحزب الاشتراكي الفرنسي ما زال يتبنى هذه السياسة تجاه نظام الحسن الثاني ، كما يتبناها شريكه في السلطة الحزب الشيوعي الفرنسي وبقية قوى اليسار في فرنسا . وحتى بعد مجيء الاشتراكيين الى الحكم في النصف الاول من العام ١٩٨١ ازدادت العلاقات بين باريس والرباط توترا بسبب حملة الاعتقالات التي شنها النظام المغربي ضد قيادات وكوادر الاتحاد الاشتراكي ونقابته العمالية ، الكونفدرالية الديمقراطية للشغل ، في صيف ١٩٨١ بعد اسابيع قليلة من تولي ميتران السلطة ، وهي الحملة التي ندد بها الاشتراكيون الفرنسيون .

ويبدو الآن ان كل شيء « اصبح في طي التاريخ » كما قالت الموند ، لان المبادئ عند ميتران ، على ما يبدو ايضا ، ليس لها قوة المصالح : فقد قام الرئيس الاشتراكي الفرنسي بزيارة للمغرب احيطت بكل مظاهر الترحيب والاحترام ، كان ميتران فيها « الصديق الحميم » لا « العدو اللدود » ..

استقبله الراقصون وراكبو الخيول من البدو ، ونثرت على موكبه الزهور ، وقدم له الحليب والبلح ، لتطوى بذلك صفحة وتفتح صفحة في تاريخ العلاقة غير الودية بين الاشتراكية الديمقراطية في فرنسا والملكية الاستبدادية في المغرب .

واذا ما واجه ميتران بعد عودته الى باريس ، الانتقادات من الاغلبية في حزبه ومن حلفائه الشيوعيين ، فانه سيرد عليها ، كما تقول الموند ، بانه يجب التفريق بين الحزب والدولة وتوزيع الادوار بين الاثنين ! وان مسألة الدفاع عن حقوق الانسان لا ينبغي ان تؤثر في العلاقات بين دولة ودولة حيث لا دخل للاخلاق والعواطف !

زيارة ميتران الى المغرب كان مقررا لها ان يتم اصلاً في ٢٧ تشرين الاول – اكتوبر الماضي ، الا ان المغرب طلبت ارجاءها ٤٨ ساعة بسبب انشغال الملك الحسن الثاني بمتابعة اعمال قمة فاس . ثم ابلغت الرباط باريس ان العاهل المغربي لا يستطيع استقبال الرئيس الفرنسي في الموعد الجديد ، الامر الذي اثار شكوكا في الدوائر الفرنسية حول الموقف الحقيقي للحسن الثاني في لقاء القمة الفرنسي – المغربي المرتقب .

فرنسا وميتران كانا في الواقع تواقين الى هذا اللقاء الذي جرى تحديد موعده النهائي فيما بعد . وارسل قصر الاليزيه الى البلاط الملكي المغربي اكثر من اشارة حسن نية ، فبدأ

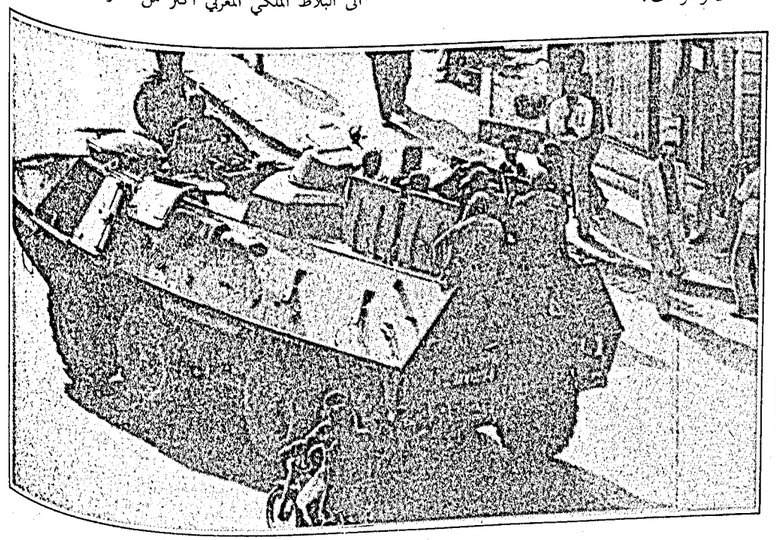

القوات المغربية .. دعم فرنسي

الفرنسيون يتحدثون عن حسن تفهمهم وتأييدهم لاقتراح العاهل المغربي باجراء استفتاء في الصحراء لتقرير مصيرها . واجرت القوات الفرنسية مناورات عسكرية – بحرية مشتركة مع القوات المغربية في اواخر تشرين الثاني – نوفمبر واوائل كانون الاول – ديسمبر الماضيين امام السواحل المغربية على الاطلسي والبحر الابيض المتوسط . ثم اخيرا ارسلت الحكومة الفرنسية بعثة خاصة لاعطاء تاشيرات دخول للآلاف من المغاربة الراغبين بالهجرة الى فرنسا والعمل فيها ، وكانت هذه احدى المشاكل التي تعترض تطبيع العلاقات الفرنسية – المغربية

والمغرب من جانبها مهدت لزيارة الرئيس الفرنسي بالافراج عن عبد الرحيم بوعبيد ، زعيم المعارضة الاشتراكية المغربية ، ثم بعقد اجتماع بينه وبين الملك المغربي . وكذلك بمشاركة وزير الخارجية المغربي في وفد اللجنة السباعية المنبثقة عن قمة فاس في زيارتها لباريس وملاقاة الرئيس ميتران ، وعلى هامش الزيارة اجرى الوزير المغربي مباحثات مع المسؤولين الفرنسيين حول العلاقات بين البلدين .

حل خارجي للمشاكل الداخلية

بعد عام ونصف العام من صعود الاشتراكيين الى السلطة في فرنسا اصبح واضحا تماما ان المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي تعاني منها فرنسا ، ومن اجل حلها وايجاد مخرج منها اعطى الفرنسيون اصواتهم للاشتركيين والشيوعيين ، يريد الاشتراكيون حلها لا في الداخل باجراء تغييرات جذرية في النظام الرأسمالي الفرنسي ، وانما في الخارج بالعودة الى الدور الاستعماري لفرنسا ، وهذا ما تؤكده الاندفاعة الفرنسية المحمومة نحو افريقيا والشرق الاوسط ، وهي اندفاعة كان قد بدئ بها منذ ايام جيسكار ديستان ، لكنها تأخذ الآن مدى اوسع وتركيزاً اشد .

ولئن احتفظت الادارة الفرنسية الاشتراكية بالعلاقات التقليدية مع تونس وموريتانيا ، فانها ارادت ان تقوم بخطوة مماثلة تجاه البلدين الآخرين من بلدان المغرب العربي ، الجزائر والمغرب . فحسنت من علاقاتها مع الجزائر ، لكن هذه الادارة ، وهي التي تريد الاحتفاظ بكل الرمان بين يديها ، كانت تدرك ان التقارب من الجزائر يثير حفيظة المغرب التي كان الاشتراكيون الفرنسيون ينظرون بحسد كبير الى تطور علاقاتها مع الولايات المتحدة على حساب الروابط التاريخية بين المغرب وفرنسا .

ولا شك في ان زيارة الرئيس الفرنسي الى المغرب والنتائج التي تمخضت عنها تشير بوضوح الى ان الاشتراكيين الفرنسيين قد وضعوا المبادئ على الرف وغلبوا المصالح عليها . فهم يدركون ان المغرب اصبح احد المفاتيح الرئيسية للعالم العربي والقارة الافريقية ليس فقط بسبب الموقع الجغرافي الاستراتيجي ، وانما ايضا بعد تنامي الدور السياسي للمغرب وعاهله الحسن الثاني في نشاط الرجعية العربية والرجعية الافريقية ، وهو دور اسهمت في خلقه قوى دولية واقليمية كالولايات المتحدة ومصر والسعودية ، وبرز واضحا بشكل جلي في المشاريع المطروحة لحل المشاكل الافريقية ومشكلة الشرق الاوسط بما يضمن استمرار المصالح الامبريالية في هاتين المنطقتين الاستراتيجيتين .

والنظام المغربي هو الآخر كانت به نفس الحاجة الى علاقة مستقرة ومتطورة مع فرنسا ذات الثقل الكبير في المجموعة الاوربية وفي مجلس الامن . فالمهمات التي يضطلع بها النظام المغربي يتطلب انجازها عدم التفريط بالتأكيد الفرنسي ، وأبرز هذه المهمات اضعاف دور الدول التقدمية في منظمة الدول الافريقية ، ومواجهة ما يسمى بتنامي « النفوذ السوفياتي » في القارة الافريقية ، وحل مشكلة الشرق الاوسط على اساس « مشروع السلام العربي » الذي ترى المغرب ، مثلها مثل السعودية ، انه يؤدي الى الاعتراف « باسرائيل » وضمان امنها ، وبالتالي ضمان المصالح الغربية في منطقة الشرق الاوسط . كما ان من شأن العلاقة الطيبة مع فرنسا دعم جهود العاهل المغربي بالقضاء على ثوار البوليساريو وحل مشكلة الصحراء وفق وجهة النظر المغربية القائلة بعائدية الصحراء للمغرب .

الرئيس ميتران يتناول الحلس والتمر والى جانبه الملك الحسن الثاني

ميتران لست ملقناً للدروس

المهم ، اسفرت زيارة ميتران عن موافقة فرنسا على تزويد المغرب بوحدات مغربية وتقديم مساعدات مالية واقتصادية لتمويل مشاريع التعاون الاقتصادي بين البلدين وتسوية العجز التجاري المغربي في التعامل مع فرنسا والذي يبلغ حوالي ٣ مليارات فرنك فرنسي . كما جرى الاتفاق على تطوير التعاون في المجال العسكري حيث تقوم فرنسا ببرنامج تدريب للقوات العسكرية المغربية ، وبتزويد الجيش المغربي بكميات كبيرة من الاسلحة والمعدات وبخاصة طائرات الميراج المقاتلة .

وفي المؤتمر الصحفي الذي اختتم به الزيارة اعلن الرئيس الفرنسي ان زيارته هذه اتاحت امكانية « التقدم نحو تعاون اوسع نطاقا واكثر رسوخا وتنوعا » . وكرر تأييده لاقتراح الملك المغربي باجراء استفتاء في الصحراء الغربية ، بينما اكد ان بلاده لن تحاول التوسط بين الجزائر والمغرب لحل خلافاتهما الناجمة بدرجة رئيسية عن الموقف من قضية الصحراء وجبهة البوليساريو . وكانت انباء قد ترددت قبل الزيارة بان الرئيس ميتران ربما سعى الى التمهيد لعقد قمة جزائرية مغربية ، لكن الانباء اللاحقة اكدت ان مثل هذه القمة اذا ما انعقدت فستكون نتيجة للمساعي السعودية لا الفرنسية . كما اعلن الرئيس الفرنسي تأييده لمشروع فاس لحل مشكلة الشرق الاوسط ، وهو المشروع الذي يرى ميتران انه يؤدي الى اعتراف متبادل بين « اسرائيل » ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وعن حقوق الانسان التي تتعرض للانتهاك في المغرب قال ميتران في المؤتمر الصحفي « لا انصب نفسي مطلقا ملقنا للدروس . ان المغرب دولة مستقلة وذات سيادة ، واني احاول جاهدا التزام الحذر » ! . ويرى المراقبون ان في موقف ميتران هذا تراجعا كبيرا عن مبادئ الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي لم يقرن موضوعة الدفاع عن حقوق الانسان بما اذا كانت الدولة التي تنتهك هذه الحقوق مستقلة وذات سيادة او غير مستقلة ولا سيادة لها ، وفي الحقيقة لا توجد الآن دولة في العالم غير مستقلة وغير ذات سيادة .

وكالة « فرانس بريس » قالت في تحليل لها من باريس لنتائج زيارة ميتران ان فرنسا تبدي استعداداً مؤاتيا لارضاء المغرب بشأن عدد من الامور ، لكي تتفادى على الصعيد السياسي ارتخاء الروابط بين باريس والرباط لصالح واشنطن .

والواقع ان الامر اكبر من هذا وابعد بكثير ، لان قطار ميتران لم يكن يقصد المحطة المغربية بذاتها ولوحدها ، وانما لانها ايضا منطلقا نحو محطات المصالح الاخرى المنتشرة في افريقيا والشرق الاوسط .

ع . ح